المبحث الخامس

بين عثمان بن فودي
ومحمد بن عبد الوهاب

لقد قرأنا في عدة كتب حديثة زعما ، في العلاقة بين الدعوة الوهابية وبين دعوة ابن فودي ، وبحثنا عن مصدر هذا الزعم فلم نعثر على مصدره غير ما جاء في كتاب الدعوة إلى الإسلام للكاتب الشهير توماس أرنولد[1]، وهو رجل اعترف بفضله جميع الكُتَّاب الذين أتوا من بعده لأنه كتب ونشر مكتوبه ١٨٩٧م ، ونظن أنه هو أول من افترض هذا الزعم فصار الذين ينقلون عنه يعتمدون عليه ، وإن كانوا لا يذكرونه كمرجع لهم في ذلك . ولكن تقدم الرجل على كثير من المستشرقين وطول باعه وتتبع آثار الدعوة وتاريخها في أنحاء العالم في نهاية القرن التاسع عشر (الميلادى) جعل الناس يأخذون قوله على عواهنه جزافا من غير قيد ولا بحث جديد .

---

(1) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٦٠ .

فها ، أنا ذا أنقل هنا معنى كلامه الوارد في كتابه المذكور ، قال : إن الشيخ عثمان بن فودي قد ذهب إلى الحج فعاد مليئًا بالحماسة والغيرة من أجل الإصلاح والدعوة إلى الإسلام ، وقد تأثر بمبادئ الوهابيين الذين كانت قوتهم آخذة في النماء في الوقت الذي زار ابن فودي مكة المكرمة فأنكر الصلاة على روح الميت وتعظيم من مات من الأولياء واستنكر المبالغة في تمجيد النبي . اهـ .

ولا نعرف مصادر هذه الدعاوى إذ لا أحد أنكر الصلاة على روح الميت ، ولا أحد أنكر تعظيم من مات وإنما أنكروا عبادة قبره ، ولا أحد أنكر تمجيد النبي ﷺ إذ لا تمجيد أعظم من الصلاة عليه ، وقد أمر بها القرآن في قوله ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا** ﴾ . ولا أحد أنكر الصلاة على روح الميت فصلاة الجنازة أول صلاة على روح الميت ، ودعاء الولد لوالديه مأمور به بقول القرآن ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ (الإسراء:٢٤) ، ودعاء المسلمين لمن سبقهم مطلوب بنص القرآن ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ﴾ (الحشر:١٠) .

هذه أمور عامة وبقي أمور خاصة بابن فودي لا ينبغي السكوت عنها ، بل يجب ردها إلى الصواب والحقيقة الواقعة ،

أولا : قبل كل شيء لم يكتب الله لابن فودي حجا ولا عمرة ولم يدخل بلدًا من بلاد العرب لا في المشرق ولا في المغرب .

ثانيًا : لم يذكر ابن فودي ولا أخوه عبد الله ولا ابنه محمد بللو لم يذكروا إطلاقا في كتبهم اسم محمد بن عبد الوهاب الذي كان معاصرًا لهم ، ولم يقولوا إنهم عرفوه أو سمعوا عنه أو قرأوا له.

وقد عرف ابن فودي بالإسناد وأمانة النقل بما لو كان متصلاً بدعوة ابن عبد الوهاب أو بكتبه لعزى إليه كما عزى إلى السيد محمد المختار الكنتي الشنقيطي الذي كان معاصرًا له في المغرب، وكان ابن فودي يذكر دائمًا اسم المغيلي وأبي جمرة وابن الحاج وأحمد زروق ويعتمد على كتبهم وفتاويهم .

إن مذهب ابن فودي يختلف تمامًا عن مذهب ابن عبد الوهاب حسب اختلاف أصول مذهبيهما الفقهي والعقائدي ، وحسب اختلاف مشربيهما بأمور كثيرة .

أولا : ابن فودي مالكي يتمسك بآراء علماء المالكية خصوصًا منهم المغاربة ، وأن ابن عبد الوهاب حنبلي المذهب ولا يعمل بهذا المذهب في المغرب ولا في نيجيريا .

ثانيًا : إن ابن فودي أشعري العقيدة فهو يحتج بأقوال السنوسي في عقائده الصغرى والوسطى والكبرى ، وهذه الكتب ممزوجة بأبحاث علم الكلام والفلسفة .

وابن عبد الوهاب سلفي العقيدة لا يؤمن بتأويل الصفات ولا يطلق على الله ما يطلقه الأشاعرة من الصفات .

والحنابلة جميعًا يذمون علم الكلام والفلسفة على الإطلاق .

ثالثًا : إن ابن فودي إجماعي الحجة يحتج بإجماع العلماء ويعتد به كأصل من أصول الشرع الأربعة التي هي الكتاب والسنة والقياس (الرأي) والإجماع بالإضافة إلى أصول أخرى للتشريع .

أما ابن عبد الوهاب فلا يعتد بإجماع الفقهاء بل يعمل بما يروى عن ابن حنبل الذي كان يقول « من ادعى الإجماع بعد الصحابة فهو كذاب » .

وقلما يعمل بالقياس والرأي ، إن وجد الحديث الضعيف عمل به وإن لم يجد توقف .

رابعا : إن ابن فودي يعمل بالتوسل بالأنبياء والأولياء ويسأل الله بالجاه النبوي ، وذلك طافح بكتبه منها ما جاء في مدائحه للنبي :

إني عديم بالخطايا مكثر
لا ملجأ إلا لجاه محمد

وما جاء في توسله بالشيخ عبد القادر الجيلاني :

يا رب عالم باطن كالظاهر
أجب الذي يدعو بعبد القادر

وأن ابن عبد الوهاب يمنع ذلك منعًا جازمًا ويكرهه كراهة تحريم وربما عده بعض أتباعه شركا ، وقد منع ابن عبد الوهاب قراءة دلائل الخيرات والبردة وأمثال العشرينيات في المدائح النبوية ، وابن فودي يلازم هذه الأشياء ، وقد ذكر ابنه محمد بللو أن الله تعالى فتح على أبيه عثمان بن فودي بملازمته دلائل الخيرات .

خامسًا : أن ابن فودي كان يستعمل المنطق اليوناني ، فقد درسه على علماءه كما درسه منه تلاميذه واشتهر على أيديهم رجز المغيلي في المنطق .

وابن عبد الوهاب ينهي عن علم المنطق حسب رأي ابن تيمية وابن القيم وغيرهما .

سادسًا : إن مما يؤكد عدم اتصال ابن فودي بالدعوة الوهابية هو قيام ابن فودي في نيجيريا قبل انتشار دعوة ابن عبد الوهاب في الحجاز ولم تدخل الوهابية مكة إلا في ١٢١٨هـ .

وذلك هو التاريخ الذي بلغت فيه دعوة ابن فودي ذروتها ودخلت مع ملوك هوسا السبع في الجهاد حتى انتصر عليهم الواحدة بعد الأخرى .

وإذا كان قيام ابن عبد الوهاب ١١٥٣هـ في نجد وكان قيام ابن فودي للدعوة في نيجيريا ١١٨٠هـ ، فليس بين انتشار الدعوة

الأولى لابن عبد الوهاب وبين الثانية لابن فودي مدة كافية لاقتباس الأخيرة من الأولى لبعد المسافة وعدم توفر المواصلات ووسائل النشر في ذلك الزمان ، بالإضافة إلى أن ابن فودي لم يحج إلى مكة ، كان علماء الحرمين قد وقفوا موقفًا سلبيًا أمام الدعوة الوهابية عند دخولها الحرمين .

ومن أواخر أولئك العلماء الأعلام أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة المكرمة في زمانه ، قد ألف كتبًا في الاعتراض على الوهابية ونقلها الحجاج إلى بلادهم .

وكان ابن فودي يعتقد أن زيارة قبر النبي محمد عبادة وقربى ، لذلك كان يشتاق إلى المدينة شوقًا حارًا ويعلنه في قصائده لمدح النبي ومن ذلك قوله :

هل لي مسير نحو طيبة مسرعا
لأزور قبر الهاشمي محمد

وهذا يخالف تمامًا مذهب ابن عبد الوهاب وشيخه ابن تيمية اللذان يحرمان زيارة القبور ويقولان إنها عبادة لها ، لحديث «لا تجعلوا قبري وثنا يعبد» وحديث «لعن الله بني إسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ، لقد تكلم العلماء في هذين الحديثين وقالوا لم يعرف بنو إسرائيل قبر نبي لهم حتى يعبدوه، كما تكلموا في أمر قبر النبي ومسجده وقالوا : كيف يفرق

ابن تيمية بين مسجد الرسول المأمور بشد الرحال إليه ضمن المساجد الثلاثة «المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى» وبين قبره عليه السلام إن كان يحرم زيارة القبور .

كل ذلك دليل قاطع على أن ابن فودي لم يقتبس من ابن عبد الوهاب دعوته كما زعم توماس أرنولد ومن أخذ منه وحذا حذوه ، وإنما أخذ من مشائخه الذين تلقوا علومهم من المغاربة ومن المصريين الصوفيين .

ها هنا جف القلم والسلام عليكم ورحمة الله .

obeikandl.com